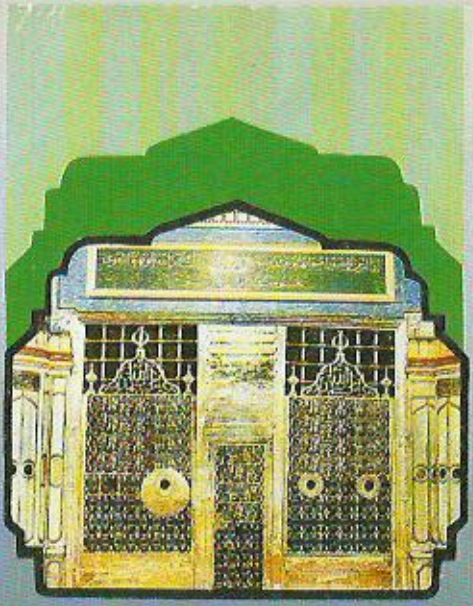

دافعة الشقاق والخلاف

في حياة الأنبياء في قبورهم

للعارف بالله تعالى

سيدي أحمد بن حجر الهيتمي

رضي الله تعالى عنه

دافعة الشقاق والخلاف

بقول المصطفى ﷺ

وأهل الأنصـــــاف

في حياة الأنبياء في قبورهم عليهم الصلاة والسلام

وهي القصيدة التي نظمها العلامة المحدث شهاب الدين أحمد

ابن حجر الهيثمي وعليها شرح الشيخ حبيب الله

الشنقيطي عليهما الرحمة والرضوان

عني بنشرها سيدي العارف بالله الشيخ صالح الجعفري مؤسس
الطريقة الجعفرية وصاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف

الناشـــر

دار جوامع الكلم

مشيخة الطريقة الجعفرية

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفري ـ الدراسة ـ القاهرة

تليفون : ٩٢٧٣٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه وكل من والاه وبعد

فإن هذه الدرة العصماء التى نظمها الإمام ابن حجر الهيثمى - رحمه الله - قد حوت من الشمائل النبوية والفضائل المحمدية ما يعوز بسطه إلى مجلد ضخم.

وقد علق على هذا النظم العلامة المحدث حبيب الله الشنقيطى مثبتًا بعض ما أشار إليه العلامة ابن حجر من الأحاديث والقضايا.

وقد عنى شيخنا الإمام الجعفرى بهذه الرسالة فصححها وطبعها على نفقته الخاصة عام ١٣٧٨ هجرية، نشرًا لما فيها من علم نافع، ووفاء لشيخه الشنقيطى الذى كان يكنّ له عظيم المودة والتقدير.

وها هى دار جوامع الكلم تسير على نهج رائدها

الإمام الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ فتعيد طبع هذه الرسالة مع زيادة بعض التحقيقات المفيدة وقد وضعت هذه الزيادات بين معقوفين هكذا [. . . . .] راجية من الله التوفيق والقبول .

دار جوامع الكلم

القاهرة ـ الدراسة .

« ترجمة الإمام ابن حجر الهيثمى »

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى المكى السعدى الأنصارى الشافعى ... المحدث الفقيه الصوفى ... ينسب إلى محلة أبى الهيثم ، من مديريه الغربية » بمصر ... فبها ولد سنة ٨٩٩ هـ ...

مات أبوه وهو صغير فكفله الإمامان الكاملان شمس الدين ابن أبى الحمائل ، وشمس الدين الشناوى ...

انتقل عام ٩٢٤ هـ إلى الأزهر الشريف ـ بعد تلقيه عن أئمة الجامع الأحمدى فى طنطا ـ فتلقى عن أئمة عصره ، فروى عن الشهاب الرملى والشمس اللقانى والشنمس السمهودى والسيوطى وأبى الحسين البكرى وغيرهم ـ رضى الله عنهم أجمعين ...

ولقد برع العلامة ابن حجر ـ رحمه الله ـ فى معظم

علـــوم عصره، حيث نبغ فى الفقـــه والأصـــول والحديث والتفسير والكـــلام والتصـوف والنحـــو والصرف والمعـــانى والمنطق والحســـاب ... وإنما ساعده على هذا التحصيل موهبته فى الحفظ ...

ولقد نبـغ العلامـة ابن حجر ــ قدس سره ــ مبكرًا حتى إنـه ليروى أن شيوخه فى الجامـع الأحمدى قد أذنوا له فى الإفتاء وعمره دون العشرين ...

ولقد وفق ابن حجر للجوار فى مكـة المكرمة فانتقل إليها عام ٩٤٠ هـ فطبقت شهـرته الآفاق، وانتفع به أهل الحرمين الشريفين والوافدون عليهما، وكتب لمؤلفاته القبول فاشتهرت بين أهل العلم، لا سيما: الـزواجـر عن اقتراف الكبـائر، وكف الـرعـاع عن محرمـات اللهـو والسماع والجوهـر المنظم فى زيـارة النبى المعظم، وشرح المشكاة، والفتاوى الحديثية، والصواعق المحـرقة ـ وغيرها من المؤلفـات القيمة ـ وكانت وفـاته بمكة المكرمـة عام ٩٧٤ هـ ... رحمه الله وأجزل له الثواب.

ترجمة الشيخ حبيب الله الشنقيطى

هو محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد المشهور بما يأبى الجكنـى، المالكى مـذهبًـا، الشنقيطىّ إقليمًا ...

ولد عام ١٢٩٥ هـ: عالم بالحديث، ولد وتعلَّم بشنقيط، وانتقل إلى مـراكش، فـالمدينـة المنـورة، واستوطن مكة، ثم استقر بالقـاهرة مدرسًا فى كلية أصـول الـدين بالأزهـر الشريف، وتـوفى بها سنـة ١٣٦٣ هـ، ومن أشهـر مؤلفـاته: (زاد المسلم فيما اتفق عليـه البخارى ومسلم) (إيقـاظ الأعلام)، (دليل السـالك إلى مـوطأ مـالك)، (إضـاءة الحالك)، (أصحّ مـا ورد فى المهـدى وعيسى)، (هـديـة المغيث فى أمـراء المؤمنين فى الحديث)، (إكمال المنّة)، (الخلاصـة النافعـة)، (حياة علىّ ابن أبى طالب) ... وغيرها من التآليف القيمة ...

صلة الإمام الجعفرى بالشيخ الشنقيطى

ولقد كانت هناك صلة روحية قوية بين الشيخ الشنقيطى وتلميذه الشيخ صالح الجعفرى: فقد شاهد منه الإمام الجعفرى رضى الله عنه العديد من الكرامات، من هذه الكرامات ما حكاه لنا بقوله:

« كنت أقرأ للإخوان الحاضرين درسًا قبل حضوره بالمسجد الحسينى، فإذا عارضنى إنسان أو شاغبنى يهمس لى فى أذنى عند جلوسه على الكرسى بقوله: « يعاكسونك وأنت خير منهم » كأنه كان معى، ثم يأتى فى درسه بكل موضع حرفت فيه شيئا أو ذكرته ناقصًا كأنه كان جالسًا معى يسمع ما قلته، وقد حصل ذلك منه مرات كثيرة، وكان إذا حصل له عذر يرسل لى تلميذًا أن اقرأ الدرس نيابة عن الشيخ.

وفى يوم أرسل لى ورقة مكتوبة بخط يده فيها: «قد وكلتك بقراءة الدرس » فتعجبت من ذلك لماذا غيَّر الشيخ عادته من المشافهة إلى المكاتبة؟ وما

أشعر إلا ومدير المساجد قد حضر وأنا أقرأ الدرس، فسألنى: وهل وكلك الشيخ؟ قلت: نعم. قال: وأين التوكيل؟ فقدمت له الورقة المرسلة من الشيخ ففرح بها، ودعا لى بخير، فكانت هذه كرامة منه ــ رحمه الله تعالى وغفر له وأسكنه فسيح جناته، فإنه كان يحبنى كثيرًا ويقول لى: « أنت بركة الدرس، قد أجزتك بجميع إجازاتى ومؤلفاتى »[1] وقد لازم الإمام الجعفرى درسه خمس عشرة سنة، وقد بلغ من محبته له أن حرص على نشر تراثه، لا سيما تلك الرسالة العظيمة فى بابها، وقد شهد وفاته ودخل قبره، ولحده بيده الشريفة ـ وقد نفعه الله بعلومه وبركاته حتى صار امامًا ومدرسًا فى الأزهر الشريف طبقت شهرته الآفاق ووضع الله له القبول فى الأرض لدى الخاص والعام... فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

---

(١) المنتقى النفيس / ١٧٧، ١٧٨.

تَـــوَاتَـــرَتِ الأدِلَّـــةُ وَالنُّقُـــولُ
فَما يُحْصِى المُصَنِّفُ مـــا يَقـــولُ
بِـأنَّ المُصْطَفى حَـىٌّ طَـــرِىٌّ
هِـــلالٌ (١) لَيْسَ يَطْـــرُقُـــهُ أفـــولُ
وأنَّ الجِسْمَ مِنْـــهُ بقـــاعِ لَحْدٍ
كَـــوَرْدٍ لا يُـــدَنِّسُـــهُ الـــذُّبـــولُ (٢)
وَأنَّ الهاشِمِـــىَّ بكُـــلِ وَصْـــفٍ
جَمِيـلٍ لا يُغَيِّرُهُ الحُلـــــــولُ (٣)
وَأنَّ الـــــدُّودَ لا يَـأتـى إليـــــه
كَـــذا الآفـــاتُ لَيْسَ لها وُصُـــولُ

---

(١) قـولـه هـلال ... إلخ بل سراج فـالأولى تشبيهـه بالشمس لأنها أعظم نورًا وأعم نفعًا وقد شبهه الله بها فى

ولم تـأكـلْ لـــــــهُ الغَبَرَاءُ لَحْمًا
وَلا عَظْمًا وأُثْبِـــتَ(٤) مـا أقـولُ

قوله تعالى ﴿ إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ﴾ .

(٢) أى الجفاف واليبس على طول الزمان .

(٣) أى لأن ذلك لا يصل ويقع إلا لجسم أكلته الأرض ... وأجساد الأنبياء لا تأكلها الأرض كما يأتى قريبًا .

(٤) أى أثبت قولى بالأحاديث الصحاح كما أخرجه النسائى فى سننه فى كتاب الجمعة فقد روى النسائى هنا عن أوس بن أوس أن رسول الله ﷺ قال (إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى باب ذكر وفاة النبى ﷺ ورواه أيضًا فى كتاب الجمعة عن شداد بن أوس عنه ﷺ ورواه غيرهما كأبى داوود وقد جاء فى حياة الأنبياء أحاديث كثيرة من جملتها أنه ﷺ رأى موسى يصلى فى قبره وغير ذلك .

وَتَـأتيـــــــهِ الملائِكُ كـلَّ وَقْـتٍ
تُحَيِّيـــــهِ وَتَسْمَعُ مـــا يَقـــولُ
وَتَـأتيـــــهِ بِـأرْزَاقٍ(١) حِسَـــانٍ
وَبِـــرٌّ حَيْثُ يَـأْمُـــرُهَـــا الجَلِيلُ
وَصَـــــوْمٌ ثـمَّ حَـجٌّ كـلَّ عَـــامٍ
يَجُوزُ عَلَيْـــــهِ بَـلْ لا يَسْتَحِيلُ(٢)
وَيَطْهُـــــرُ لِلصَّـــــلاةِ بِمَاءِ غَيْـبٍ
وَيَقْضِيهـا بِـذا(٣) وَرَدَ الـــــدَّلِيلُ

---

(١) أى لأنه جمع الله له بين الشهادة والنبوة لأنه ثبت عنه أن أكلة خيبر كانت سببًا لشهادته ﷺ .

[عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة ، فأكل منها فجئ بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك . فقالت : أردت لأقتلك ، قال : ما كان الله ليسلطك على ذاك ، قال : أو قال : علىَّ ، قال : قالوا :

يُصَلِّى فى الضَّرِيحِ صَلاةَ خَمْسٍ (٤)
دَوَمًا لا يَمَلُّ وَلا يَمِيلُ

ألا نقتلها، قال: لا. فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ ـ صحيح مسلم ٢/ ٢٧٥ ... وأخرج الدارمى والبيهقى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن يهودية من أهل خيبر أهدت رسول الله ـ ﷺ ـ شاة مسمومة، فأخذ « للذراع » فأكل منها وأكل رهط من أصحابه، فقال ارفعوا أيديكم ودعا اليهودية فقال: أسممت هذه الشاة؟ قالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتنى هذه التى فى يدى للذراع، قالت: نعم، قال: فما أردت إلى ذلك؟ قالت: قلت إن كان نبيًا فلا يضره، وإن لم يكن نبيًا استرحنا منه فعفا عنها ولم يعاقبها ـ حجة الله على العالمين ص ٤٥١].

(هذا) مع كون حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى قبورهم أعلى من حياة الشهداء وقد قال تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند

ربهم يرزقون ﴾ والرزق ليس مقصورًا على رزق الحياة الدنيا ... وإلى كونه مقتولا بالسم يشير قوله تعالى ﴿ أفإن مات أو قتل ﴾ الآية ففيها إشارة إلى أنه إن كان مات على فراشه بحسب الظاهر فهو مقتول بحسب الواقع فى نفس الأمر.

(٢) أى لما ثبت من حياته هو وغيره من الأنبياء فى قبورهم حياة حقيقية بأبدانهم ولا يلزم من ذلك أن تكون أبدانهم محتاجة إلى الطعام والشراب الدنيويين لأن ذلك عادى لا عقلى فالملائكة عليهم السلام أحياء ولا يحتاجون إلى الطعام والشراب وليسا مقصورين أيضًا على طعام الدنيا وشرابها

(٣) أى يؤديها تلذذا بها لا وجوبًا عليه.

(٤) وليست الصلوات الصادرة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم على سبيل التكليف بل على سبيل التلذذ بها فيصير ذلك من جملة النعيم لهم وفى مسلم مرفوعًا (إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس).

كَـذا الأعمالُ[1] تعـرَضُ كـلَّ يَـوْم
عَلَيْـهِ كيْ يُسَرَّ بهَا الـرَّسُـولُ
فإن كـانَتْ صَـلاحًـا قـامَ يَـدْعُـو
إلى المَوْلى لِيَقْبَـلَ مـا يَقـولُ
وَإلاَّ غَيْرُ ذَلِكَ فَهْـوَ يَـدْعُـو
لِيَغْفِـرَهَـا وَقَـدْ صَفَحَ الجَلِيلُ
وَبُقْعَتُـهُ الَّتِى ضَمَّتْـهُ حَقًّـا[2]
رِيَـاضٌ مِنْ جِنَـانٍ تَسْتَطِيلُ[3]
كـذا اللَّحْـدُ الَّـذِى ضَـمَّ الطَّـوايَـا
تَشَرَّفَ حِينَ حَـلَّ بـهِ النَّـزِيـلُ

(١) قوله كذا الأعمال تعرض كل يوم ... إلخ يشير به إلى أحاديث وردت فى ذلك :

[فعن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ :

وَأفْضَلُ مِنْ سَمـوَاتٍ[4] وَأرْضٍ
وَأمْـلاكٍ بأفْـلاكٍ تَجُولُ

« أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علىّ، قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ـ يقولن بليت ـ؟ فقال : إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

هذا الحديث أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وأحمد فى مسنده وابن عاصم فى الصلاة له، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجة فى سننهم والطبرانى فى معجمه، وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى صحاحهم، والبيهقى فى حياة الأنبياء وشعب الإيمان وغيرهما من تصانيفه ...

وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ قال :

« حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتى خير لكم : تعرض أعمالكم علىّ فما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شرّ استغفرت الله لكم » .

قال الحافظ العراقى فى كتاب (الجنائز) من طرح التثريب فى شرح التقريب إسناده جيد.

وقال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وصححه الحافظ السيوطى فى المعجزات والخصائص، وكذا القسطلانى شارح البخارى، ونص المناوى فى فيض القدير بأنه صحيح، وكذا الزرقانى فى شرح المواهب للقسطلانى، وكذا الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا، وكذا الملا على القارئ فى شرح الشفا، وذكره ابن حجر فى المطالب العالية ...

ـ وجاء هذا الحديث من طريق آخر مرسلاً عن بكر بن عبد الله المزنى، ورواه الحافظ إسماعيل القاضى فى جزء الصلاة على النبى ﷺ قال فيه الشيخ الألبانى: مرسل صحيح.

وصححه الحافظ ابن عبد الهادى مع تعنته وتشدده فى كتابه (الصارم المنكى) وقد شرحه فى رسالة مستقلة العلامة أبو الفضل عبد الله الصديق الغمارى].

ومنها ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته عن بكر بن عبد الله المزنى مرسلاً حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم

فإذا أنا مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم اهـ قال العزيزى فى شرح الجامع الصغير وذلك فى كل يوم كما ذكره المؤلف وعده من خصوصياته وتعرض عليه أيضا مع الأنبياء والآباء يوم الاثنين والخميس اهـ. بلفظه قال الحفنى فى حاشية الجامع الصغير فى معنى تحدثون الخ أى تذكرون لى ما يشكل عليكم ويحدث لكم أى يذكر لكم من قبل ما يزيل عنكم الإشكال اهـ، المراد منه.

(٢) صوابه ضمته حقًا لإيهام « عظامًا » أن الأرض تأكل جسده الشريف حاشاه من ذلك.

(٣) فقد صح عنه (القبر روضة من رياض الجنة) الحديث وإذا كان كذلك فبقعته التى ضمت جسده الشريف رياض من جنان ... إلخ، كما قال الناظم رحمه الله تعالى.

(٤) قوله وأفضل من سموات وأرض ... إلخ، قال

القسطلاني فى المواهب اللدنية وأجمعوا على أن الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة كما قاله عساكر والباجى والقاضى عياض بل نقل التاج السبكى كما ذكره السيد السمهودى فى فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلى أنها أى البقعة التى قبر فيها ﷺ أفضل من العرش وصرح الفاكهانى بتفضيلها على السموات ولفظه وأقول أنا وأفضل من بقاع السموات قال ولا أرى من تعرض لذلك، والذى أعتقده أن ذلك لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه وقد جاء أن السموات شرفت بمواطئ قدميه بل لو قال قائل أن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء لشرفها بكونه ﷺ حال فيها لم يبعد بل هو عندى الظاهر المتعين اهـ، وحكاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها ثم قال بعد ذكر الخلاف فى ذلك: أى ماعدا ما ضم الأعضاء الشريفة قال شارحه الزرقانى فإنه أفضل إجماعًا وإلى ما ذكره أشار القائل بقوله.

جزم الجميع بأن خير الأرض ما
قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت
كالنفس حين زكت زكى مأواها

ومن عرش ومن جنات عدن
وفردوس بها خير جزيل
وفى القبر الشريف تراه حيًا[1]
إلى كل البقاع له وصول

(١) فمن جملة أدلة ذلك ما رواه البيهقى فى كتاب الأنبياء وصححه من حديث أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال (الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون) وكذا رواه أبو يعلى والبزار وابن عدى وقد ألف البيهقى كتابًا عظيمًا فى حياة الأنبياء جمع فيه أدلة كثيرة صريحة فيما أشار له العلامة ابن حجر فى هذه القصيدة من حياة الأنبياء وسائر تصرفاتهم فى قبورهم. وللجلال السيوطى رسالة فى ذلك سماها إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء وقد طبعت بمطبعة هندية وهى فى خزانتى حرسها الله قال القسطلانى فى المواهب اللدنية ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة ونبينا ﷺ أفضلهم أى بالنصوص والإجماع وإذا كان كذلك فينبغى أن تكون حياته أكمل وأتم من حياة

وَكلُّ الأنبيـــاءِ[1] كـــذاكَ حقًّـــا
بِأجْـــــداثٍ لَهُمْ ظِلٌّ ظَلِيـلُ
ولمْ تُعْلَمْ مَقَـــابِـــرُهُم بِأرْضٍ
يَقينًـــا غَيْرَ مـــا سَكَنَ الـــرَّسُـــولُ
وفِي حبرُونَ[2] أيضًـــا ثـمَّ غَـــارٌ
بِـــهِ رُسُلٌ كِـــرامٌ وَالخَلِيـلُ
وَلـــوْلا أنَّـــهُ حَيٌّ حَـــرِيٌّ
بِإدْرَاكٍ كما نَقَـلَ الفُحُـــولُ

سائرهم اهـ. قلت ولا سيما إن نظرنا إلى كونه قتل بسم اليهودية كما صح عنه ﷺ.

(١) قوله وكل الأنبياء كذاك حقا التشبيه فى كونهم أحياء يصلون فى قبورهم مثل نبينا محمد ﷺ لأنهم جميعًا عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم ففى صحيح مسلم عنه ﷺ من رواية أبى هريرة عنه قال (وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم عليه -

السلام - قائم يصلى فإذا أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفى وإذا إبراهيم - عليه السلام - قائم يصلى، أشبه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه - ﷺ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت إليه من الصلاة قال لى قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فنادانى بالسلام اهـ، وأخرج مسلم فى باب فضائل موسى عليه السلام من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (مررت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره) وفى رواية لمسلم عن انس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ (مررت على موسى وهو يصلى فى قبره) اهـ، إلى غير ذلك.

(٢) بفتح الحاء المهملة ثم موحدة ساكنة وهى بلدة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكونه عليه الصلاة والسلام هو وابنه إسحاق وابنه يعقوب وابنه يوسف عليه وعليهم الصلاة والسلام فى داخل الدائر الذى بناه عليهم سليمان عليه الصلاة والسلام فى الغار الذى فى وسط مسجد الخليل الآن محقق كما جزم به ابن الحاج فى المدخل وجزم به غيره ايضًا.

لما سَعَتِ الشُّمـــوس[1] إليْـهِ حَقًّـا
تُسَلِّمُ حِينَ تَطلُعُ أوْ تَـــــزُولُ
وَلا كـــانَ الحجِيجُ إلَيْـــهِ يسعَى
وَيَـــرْجُـو أنْ يكُـونَ لـهُ قَبُـولُ[*]
كـذلكَ النُّـوقُ فِى الـوَادِى يُنَـادِى
لها الحَادِى وطـــــابَ لها المَقِيلُ
تَمُدُّ رِقـــابَهَا شَـــوْقًـــا إلَيْـــهِ
وَأدمُعُهـــــــا كَسَيْـلٍ إذْ يَسِيلُ
وَيَلْقَـــاهُـمْ إذا وفَـــدُوا عَلَيْـــهِ
وَيَنظُرُهُم[3] إذا ازْدَحَم القُفُـــــولُ

(١) أى العلماء بشد رحالهم لزيارته ﷺ فالعلماء هم الشموس الساعية إليه بعد موته.

[(*) ذكر الشيخ ابن القيم فى قصيدته المعروفة بـ (النونية) كيف تكون الزيارة، وما هى الآداب المطلوبة فيها، وكيف ينبغى أن يكون شعور الزائر وهو واقف أمام

المواجهة الشريفة، ومما جاء فيها:

فإذا أتينا المسجد النبوى صلـ
ـينا التحيـــة أولاً ثنتـــان
بتمام أركـــان لها وخشـــوعها
وحضـور قلب فعل ذى الإحسـان
ثم انثنينا للـزيـارة نقصـد الـ
ـقبر الشريف ولـو على الأجفـان
فنقـوم دون القبر وقفـة خـاضع
متـــذلل فى السرّ والإعـــلان
فكـأنـــه فى القبر حىّ نـــاطق
فـالـوا قفـون نـواكس الأذقـان
ملكتهم تلـك المهـابـة فـاعترت
تلك القـوائم كثـرة الـرجفـان

وتفجـــرتْ تلك العيـــون بمائهـــا
ولطـــالما غـــاضت على الأزمـــان
وأتى المسلّـم بـــالســـلام بهيبـــة
ووقـــــار ذى علـم وذى إيمان
لم يـــرفع الأصـــوات حـــول ضريحه
كـــلا ولم يسجـــد على الأذقـــان
كـــلا ولم يـــر طـــائفًـــا بـــالقبر أســـ
ـــــبوعًا كـأن القبر بيـت ثـــان
ثم انثنى بـــدعـــائه متـــوجهًـــا
لله نحـــو البيـت ذى الأركـــان
هـــذى زيـــارة من غـــدا متمسكًـــا
بشريعـــة الإســـلام والإيمان
من أفضل الأعمال هـــاتيك الـــزيـــا
رة وهى يـــوم الحشر فى الميـــزان
مفاهيم يجب أن تصحح للشيخ المالكى ص ٢٢٢ طبعة دار جوامع الكلم]

(٣) قوله وينظرهم إذا ازدحم ... إلخ وذلك كما قاله القسطلانى وغيره عبارة عن أقبال خاص والتفات روحانى يحصل من الحضرة النبوية إلى عالم الدنيا وقوالب الأجساد الترابية وتنزل إلى دائرة البشرية حتى يحصل عند ذلك رد السلام وهذا الاقبال يكون عامًا شاملاً حتى لو كان المسلمون فى كل لمحة أكثر من ألف ألف ألف لوسعهم ذلك الاقبال النبوى والالتفات الروحانى ولقد رأيت من ذلك مالا أستطيع أن أعبر عنه انتهى بلفظه.

وَيَسْمَعُهُمْ إذا صَلَّوا عَلَيْهِ
بِأُذْنَيْهِ فَقَصِّرْ يَا مَلُولُ
ومَنْ لَمْ يَعتَقِدْ هَذا بِطَهَ(١)
يَقِينًا فَهْوَ زِنْدِيقٌ جَهُولُ(*)
عُبَيْدٌ هَيْتَمِيٌّ مُسْتَجِيرٌ
بِمَنْ حُطَّتْ بِسَاحَتِهِ الحُمُولُ
عَلَيْهِ اللهُ صَلَّى كُلَّ وَقْتٍ
مَدى الأَيَّامِ مَا شُدَّتْ حُمُولُ
وَآلٍ وَالصَّحَابَةِ مَا تَدانى
مِنَ الأَقْطَارِ سَيْلٌ إذْ يَسِيلُ

(١) وفى نسخة بقلب.

[(*) هذه هى عقيدة أهل السنة التى لا يرضى عنها من يرفع راية السلف فى هذا الزمان وها هو الشيخ ابن القيم رحمه الله: يقول فى كتاب « الروح »:

« ومما ينبغى أن يعلم أن ما ذكرنا من شأن الروح

يختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف، والكبر والصغر، فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن هو دونها، وأنت ترى أحكام الأرواح فى الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب تفارق الأرواح فى كيفياتها وقواها، وإبطائها وإسراعها، والمعاونة لها...

فللروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن وعوائقه، فإذا كان هذا وهى محبوسة فى بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت فى أصل شأنها روحًا علية زكية كبيرة ذات همة عالية، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر:

وقد تواترت الرؤيا فى أصناف بنى آدم على فعل الأرواح

بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك ...

وكم قد رئى النبى ﷺ ومعه أبو بكر وعمر فى النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عَددهم وعُددهم وضعف المؤمنين وقلتهم ... ومن العجب أن أرواح المؤمنين المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينها أعظم مسافة وأبعدها، فتتألم وتتعارف فيعرف بعضها بعضًا كأنه جليسه وعشيره، فإذا رآه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته ... الروح لابن القيم ص ١٠٢، ١٠٣ طبعة المتنبى.

خاتمة

يقول صاحب ترتيبها وجمعها ومنشئ الأولتين منها محمد حبيب الله بن الشيخ سيدى عبد الله بن ما يابى الجكنى نسبًا الشنقيطى اقليمًا وفقه الله للأعمال الصالحة المتقبلة إن شاء الله تعالى هذا آخر هذه القصائد الثلاث جعل الله تعالى إنشاءها ونشرها وتخريج بعض أحاديثها من أعمالنا المقبولة منا ومن المرحوم العلامة أحمد بن حجر الهيثمى وسببًا للختم لى بالإيمان بجوار نبينا محمد رسول الله ﷺ وإن أسعدنى الله تعالى بفراغ وعافية شرحت قصيدتى معًا بما يناسب ذكره من مآثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الاختصار وشرحت قصيدة ابن حجر ايضًا وخرجت جميع الأحاديث التى أشار لمضمنها فيها كأحاديث حياة الأنبياء فى قبورهم حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء التى هى صريحة فى نص القرآن الكريم وعرض أعمال أممهم عليهم وصلاتهم فى قبورهم بعد الموت بأبسط مما ذكرته هنا فى حواشى هذه القصائد إن شاء الله تعالى وكثير من أدلة ذلك فى كتب السنن كسنن أبى داود والنسائى والدارمى وغيرها وفى المواهب اللدنية للقسطلانى

وشرحه للزرقانى جملة من ذلك كافية فى صدق ما أشار إليه المحقق ابن حجر فى قصيدته رحمه الله . وفى الختام ــ أحسنه الله يقول محمد حبيب الله المذكور وفقه الله هذا ما ألهمنيه الله تعالى بعد رحلتى الفلسطينية لزيارة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع زيارة المسجد الأقصى والتدريس فيه وفى مسجد إبراهيم الخليل مدة إقامتى هناك تقبل الله ذلك منى مع سائر أعمالى ووفقنى لما فيه سعادة الدارين بجاه أنبياء الله تعالى جميعًا وجاه سيد الكونين محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وسائر النبيين وأنجح الله مقاصد المتوسل بهم إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية
٩٢ / ٩٩٢٩

الترقيم الدولى
I. S. B. N
977 - 5259 - 08 - 8